

الغدِير وخصائص أمير المؤمنين (عليه السلام)

المكان: طهران.

المناسبة: عيد يوم الغدير الأغر.

الحضور: آلاف من عامة الشعب.

التاريخ: 1429/12/18 هـ.ق، 1387/9/27 هـ.ش، 2008/12/17

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً أبارك لكم أيها الحضور الأعزاء ولكل شعبنا المؤمن وللعالم الإسلامي عيد الغدير السعيد الذي يشكل جزءاً كبيراً من هوية شيعة الأئمة (عليهم السلام) وقد شعر الشيعة رجالاً ونساءً على مدى سنين وقرون طويلة بهويتهم بفضل ذكرى هذا اليوم وهذا الحدث. وأرحب بكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، لاسيما الإخوة والأخوات الذين تفضلوا بالمجيء من طرق بعيدة ومدن مختلفة وكذلك بعوائل الشهداء الكريمة.

الغدِير من القضايا التي يساعد التفكير حولها اليوم مجتمعنا الإسلامي وخصوصاً شعبنا وبلادنا يساعدهم كثيراً على أن لا يضيّعوا طريق الحركة الصحيح. أذكر نقطتين أو ثلاثاً حول قضية الغدير.

النقطة الأولى ذات حادثة الغدير

شهد العالم الإسلامي في زمن الرسول الأكرم وكان قد أتسع نسبياً، أمراً على جانب كبير جداً من الأهمية، ألا وهو إعلان خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. ليس الشيعة فقط هم من رووا حادثة الغدير، فكثيراً ما روى محدثو أهل السنة وكبار أهل السنة أيضاً هذا الحدث، بيد أن فهمهم للمسألة كان مختلفاً في بعض الأحيان. لكن أساس هذه الحادثة يعدّ من المسلمات بين المسلمين. وقع

هذا الحدث وهو تعيين خليفة للرسول في الأشهر الأخيرة من عمره أي قبل نحو سبعين يوماً من وفاته.

والحقيقة أن هذا الحدث يدل على أهمية قضية الحكومة والسياسة وولاية أمر الأمة الإسلامية من وجهة نظر الإسلام. حينما يشدد إمامنا الجليل والكثير من كبار الفقهاء قبله على قضية الوحدة بين الدين والسياسة وأهمية قضية الحكم في الدين، فلهذا جذوره في تعاليم الإسلام ومن ذلك درس الغدير الكبير. هذا دليل على أهمية الموضوع. كل الذين يفهمون هذا المعنى من حادثة غدير خم – أي نحن الشيعة وحتى كثير من غير الشيعة ممن شعروا أو فهموا هذا المعنى من حادثة الغدير – عليهم التنبّه في جميع عصور التاريخ الإسلامي إلى أن مسألة الحكومة مسألة أساسية ومهمة وفي المرتبة الأولى في الإسلام. لا يمكن عدم الاكتراث لقضية الحكومة والسيادة. ودور الحكومات في هداية الناس أو تضليلهم قضية تدل عليها التجربة البشرية. كل هذا التأكيد على قضية إدارة البلد الإسلامي في نظام الجمهورية الإسلامية، سواء في الدستور أو في سائر معارف الجمهورية الإسلامية، يعود إلى هذه الجذور العميقة والعريقة جداً لهذه القضية في الإسلام. هذه نقطة يجب أن لا تغيب عن البال.

النقطة الثانية الخصائص التي عرف بها أمير المؤمنين (عليه السلام)

النقطة الأخرى إلى جانب هذه القضية هي أن رسول الإسلام عيّن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) في واقعة الغدير. فما هي الخصائص التي عرف بها عليّ في تلك الفترة من حياته وفي الفترات اللاحقة؟ هذه الخصائص هي المعيار بالنسبة لنا؟ أولى خصائص الإمام أمير المؤمنين هي حبه والتزامه برضا الله والسير على الصراط المستقيم مهما كانت الصعاب ومهما تطلب ذلك من جهد وجهاد. هذه هي أبرز سمات الإمام أمير المؤمنين.

أمير المؤمنين إنسان لم يتراجع للحظة واحدة وفي أية قضية حتى خطوة واحدة في سبيل الله ومن أجله منذ أوان طفولته وحتى لحظة استشهاده، ولم يعتره التردد والشك، ونذر كل كيانه في سبيل الله وقدمه إلى الميدان. بلغ ودعا يوم كان عليه أن يبلغ ويدعو، ويوم كان عليه أن يضرب بالسيف، ضرب بالسيف بين يدي الرسول ولم يهب الموت. وصبر يوم كان عليه أن يصبر. ويوم كان عليه أن يمسك بزمام السياسة أمسك بزمام السياسة وخاض غمار الساحة السياسية. وأبدى في كل هذه العهود والفترات كل ما تقتضيه التضحية. مثل هذا الشخص يضعه الرسول الأكرم على رأس المجتمع الإسلامي.. وكان هذا درساً.. هذا درس للأمة الإسلامية، وليس مجرد ذاكرة تاريخية وذكرى تعود للقرون الماضية. في هذا دلالة على أن المعايير والملاكات لإدارة المجتمع الإسلامي والمجتمعات الإسلامية والأمة الإسلامية هي هذه: العبودية لله، والجهاد في سبيل رضا الله، وتقديم الروح والمال فداءً لذلك، وعدم التهرب من أية مصاعب أو مشاكل، والإعراض عن الدنيا. هذه القمة هي أمير المؤمنين. المؤشر والمعيار هو أمير المؤمنين. هذا هو الغدير الكبير.

لننظر للعالم الإسلامي والحكومات الإسلامية، وعلى مستوى العالم والإدارات السياسية في العالم ونرى كم هو البون بين ما عرضه الإسلام على الإنسانية وبين ما هو قائم اليوم على أرض الواقع. الخسائر التي تتحملها الإنسانية يعود شطر كبير منها إلى هذه المسألة. يرى الإسلام أن سعادة الإنسانية تستدعي إدارة من نوع إدارة أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين في هذا المجال تلميذ الرسول وتابعه. الإمام علي نفسه حينما جرى الحديث عن زهده قال أين زهدي من زهد الرسول؟! الإمام أمير المؤمنين تلميذ رسول الله المميّز الكبير في الجهاد، وفي الصبر، وفي كل هذه الأمور. مثل هذا الشخص هو الجدير، وعلينا جميعاً اعتباره نموذجاً وقدوة، لا لبلادنا وحسب، بل للعالم الإسلامي برمته.

مثل هذا الإنسان المتسامي الكبير غير الآبه للدنيا ولأموالها وبها رجاها، والمستعد للتضحية في سبيل الحق والحقيقة هو القادر على إنقاذ المجتمعات البشرية الكبرى.. شخص لا يستسلم للنزوات النفسانية ولا تجعله المصالح الشخصية التافهة ينهزم أمام أحداث الحياة الكبرى. حين نقول مراراً إن رسالة الإسلام ورسالة الجمهورية الإسلامية للعالم رسالة جديدة فهذا هو معنى قولنا. وهذا نموذج بارز لها.

لاحظوا مستوى حياة البشرية في العالم راهناً.. رؤساء البلدان، ومدراء شؤون السياسة بين الشعوب، أيهم على استعداد لغض الطرف عن مصالحه الشخصية حين تكون هذه المصالح متاحة لهم وبوسعهم تأمينها؟ أيهم على استعداد للتضحية بأرواحهم في سبيل مصلحة شعوبهم وبلدانهم؟ أيهم على استعداد لسحق الاعتبارات والملاحظات؟ الفقر الكبير الذي تعاني منه البشرية اليوم هو في جانب منه هذا الفقر لمثل هؤلاء الرجال الذي عرض الإسلام على الإنسانية نموذجهم السامي. طبعاً من الواضح أن الوصول إلى تلك القمة ليس في مقدور أبناء البشر العاديين. ليس بوسع أحد الحياة والسلوك مثل الإمام أمير المؤمنين.. هذا طموح لا يتحقق. بيد أن القمة تكشف لنا عن الاتجاه. ينبغي السير نحو تلك القمة والتشبه بها والاقتراب منها. هذه هي النقيصة والثغرة الكبرى التي تعاني منها البشرية. إنها نقطة موجودة ومتوفرة في حادثة الغدير. هذه أيضاً قضية ينبغي التنبيه لها؛ رسالة الغدير للعالم رسالة نموذج الحكومة الإسلامية.

إنسان شديد وقاطع للغاية مع العدو ومع الحالات الانتهازية في سبيل الله، لكنه متواضع وترابي وصبور مع المظلومين والضعفاء إلى درجة لا يصدق معها أحد أنه أمير المؤمنين. في بداية دخول أمير المؤمنين للكوفة حيث لم يكن الناس يعرفونه، كان سلوكه، وثيابه، وأسلوبه بحيث لا يعلم أحد حينما يمشي الإمام في الأزقة والأسواق أن أمير المؤمنين بكل تلك العظمة هو هذا الشخص الذي يمشي بنحو جد طبيعي وعادي. متواضع صبور ترابي لهذه الدرجة مع الناس

الضعفاء والعاديين، وحاسم صامد كالجبل أمام الأعداء الغادرين العتاة.. هذه قدوة.

### النقطة الثالثة الوحدة وعدم التفرقة

أذكر نقطة أخرى حول الغدير. قضية الغدير بالنسبة لنا نحن الشيعة هي أساس العقيدة الشيعية. نحن نعتقد أن الإمام علي بن أبي طالب هو إمام الحق للأمة الإسلامية بعد الكيان المقدس لنبي الإسلام المكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).. هذا هو الأساس والرصيد الرئيسي لعقيدة الشيعة. واضح أن إختوتنا السنة لا يوافقون هذه العقيدة، وينظرون ويفكرون بنحو آخر. إلا أن قضية الغدير هذه تعد في جانب منها سبباً لاجتماع الأمة الإسلامية، وهذا الجانب هو شخصية الإمام أمير المؤمنين. ليس ثمة اختلاف بين المسلمين حول شخصية هذا الإنسان الكبير المتسامي وعظمته. الجميع ينظرون لأمير المؤمنين بتلك المراتب السامقة السامية التي يجب النظر إليه فيها من حيث العلم، والتقوى، والشجاعة. أي إن أمير المؤمنين هو ملتقى عقيدة جميع أبناء الأمة الإسلامية.

ما يلزم أن نتفطن له اليوم هو أن الشيعة حافظوا على هذه العقيدة طوال قرون متمادية كمحافظتهم على أرواحهم العزيزة. رغم كل العداوات التي شنت – والجميع يعلمون تقريباً بهذه العداوات، وكم مارسوا من الظلم والضغوط والقمع والإرهاب – بيد أن الشيعة حافظوا هذه العقيدة وأشاعوا معارف التشيع، وفقه الشيعة، وكلام الشيعة، وفلسفة الشيعة، وعلوم الشيعة، وحضارة الشيعة، وفكر الشيعة الرفيع، وعظماء الشيعة وكبرائهم كانوا على مر التاريخ الإسلامي عناصر متألفة ساطعة. إذن، هذه عقيدة حافظ عليها الشيعة وسيحافظون. ولكن تنبهوا إلى أن هذه العقيدة يجب أن لا تكون سبب معارك ونزاعات هذا هو ما قلناه وكررناه لسنوات ونعود ونكرره. نحن نرى أية نوايا يحملها الأعداء وما هي مقاصدهم الخبيثة من أيجاد الخلافات بين أبناء الأمة الإسلامية بعناوين مختلفة منها عناوين الشيعة والسنة. العدو هو عدو الإسلام، عدو القرآن، عدو

القواسم المشتركة، عدو التوحيد، وليس عدو جزء من الإسلام. يحاول العدو بث العداوات بين الأمة الإسلامية. يفهم كم هو مضر بالنسبة له إتحاد العالم الإسلامي. لاحظ العدو كيف استطاعت عظمة الثورة الإسلامية في إيران وألقها حينما انتصرت، أن يستقطب القلوب في العالم الإسلامي.. القلوب التي لم تكن شيعية. الملايين من الإخوة أهل السنة في البلدان العربية، والبلدان الأفريقية، والآسيوية انجذبوا للثورة وتضرر العدو من هذه الناحية. تضرر العدو من اتحاد القلوب وتوجه أفئدة المسلمين نحو الجمهورية الإسلامية، ويريد القضاء على هذه التوجه.. كيف؟ بإيجاد العداوة بين الشيعة والسنة.

من الجوانب المهمة للسياسة الاستكبارية في منطقتنا الآن – فضلاً عن صنوف العداة الأخرى التي يبدونها – هي أن يصطحبوا معهم رؤساء بعض البلدان العربية ويضعوهم مقابل الشعب الإيراني في مختلف القضايا والأمور.. في القضية النووية وغيرها من القضايا.. يعقدون الاجتماعات ويجلسون ويتعاملون ويتآمرون. تطالب أمريكا بعض البلدان الإسلامية وتساءلهم ما السهم الذي أنتم مستعدون لتوليئه في مواجهة إيران. يسعون لإيجاد العداوة. الشيء الذي يستطيع العدو فعله في المحافل والقرارات السياسية هو دفع رؤساء الدول نحو مواجهة الجمهورية الإسلامية.. لا يستطيعون أكثر من هذا. ليس بمقدور العدو تغيير قلوب الشعوب – قلوب الشعوب في البلدان العربية والإسلامية، قلوب الشعب الفلسطيني، وقلوب الشعب العراقي – ضد الجمهورية الإسلامية.. لا يقدر على القلوب. أقصى ما يستطيعون فعله هو وضع الحكومات بوجه الجمهورية الإسلامية. طبعاً لكل واحدة من تلك الحكومات ملاحظاتها واعتباراتها، وهي ليست على استعداد لتسليم نفسها بالكامل للصهاينة والاستكبار في هذه القضية. لكنهم لا يستطيعون التأثير في قلوب الناس. ما الشيء الذي يؤثر في قلوب الناس؟ ما الشيء الذي بوسعه فصل أفئدة العالم الإسلامي عن الجمهورية الإسلامية وشعب إيران؟ هذه الخلافات والعصبية الطائفية. هذا هو ما يمكنه الفصل بين القلوب، وهو ما ينبغي الخوف منه.. هذا ما ينبغي الخوف منه.

الجميع يتحملون مسؤولية الحذر والمراقبة. أن يكتبوا الكتب في العالم الشيعي ضد الإخوة السنة، وفي العالم السني ضد الإخوة الشيعة، ويوجهوا التهم والإساءات فهذا لن يحوّل أي شيعي إلى التسنن، ولن ينقل أي سني إلى التشيع. الذين يرغبون في أن يميل كل الناس في العالم الإسلامي لمحبة أهل البيت وولايتهم ليعلموا أنه ليس بالإمكان استقطاب أي إنسان للتشيع ولولاية أهل البيت عبر شن المعارك والشجارات وتوجيه الإهانات وإعلان العداوات. شن الشجارات ليس له من أثر سوى البغضاء والفصل والعداوة، وهذه البغضاء، والعداء، والفصل هو ما تريده اليوم أمريكا ويسعى من أجله الصهاينة. تلاحظون أن تلفزيون بلد أوروبي غير مسلم وعدو تاريخي وأساسي للبلدان الإسلامية يبث مناظرات بين الشيعة والسنة. يدعون شخصاً من الشيعة وشخصاً من السنة للمناظرة في هذا التلفزيون. ما هو قصدهم؟ بلد مسيحي مستعمر ذو ماضٍ أسود ما هو هدفه من تنظيم هذه المناظرات؟ هل يريد أن تتجلي الحقيقة؟ هل يريد لمستمعيه ومتلقيه أن يدركوا الحق في مطاوي هذه المباحثات والمناظرات؟ أم يريد تأجيج نيران الخلافات عبر هذه الحوارات وما يمكن أن يصدر عن بعض الأفراد خلال هذه الحوارات؟ إنه صبّ للزيت على النار. هذه أمور يجب أن نوقفنا وتعيدنا إلى أنفسنا ووعينا. للشيعة منطق قوي. براهين متكلمي الشيعة وعلمائهم حول قضايا التشيع براهين فولاذية متينة، بيد أن هذا لا صلة له بتوجيه الإساءات والإهانات وبث العدوان في العالم الشيعي ضد مخالفينهم، ويحصل الشيء نفسه من الطرف المقابل وتتصاعد نيران العداء والشجار. نحن على اطلاع، وأنا على اطلاع اليوم وكنت على اطلاع في الماضي أيضاً أن هناك أموالاً تنفق كي يكتب هؤلاء كتب سباب وشتائم وتهم ضد أولئك، ويكتب أولئك كتب سباب وشتائم وتهم ضد هؤلاء.. وهناك مركز واحد يمنح الأموال للطرفين.. أموال الكتّابين ونفقات نشر الكتّابين تخرج من جيب واحد. أليست هذه أموراً تدعو إلى الحذر والتيقظ؟ ينبغي التنبه لهذه الأمور.

أقول هذا اليوم ببركة ولاية أمير المؤمنين وباسم هذا الإنسان الكبير واستمداداً من روحه الكبير ليكون تأكيداً لما قاله إمامنا الجليل طوال سنين متمادية، وما قلناه نحن: لا يظن أحد في مكان ما أنه يدافع عن التشيع ويخال أن الدفاع عن الشيعة يكمن في أن يستطيع تأجيج نيران العداة بين الشيعة وغير الشيعة. هذا ليس دفاعاً عن الشيعة ولا دفاعاً عن الولاية. إذا أردتم باطنه فهو دفاع عن أمريكا وعن الصهاينة. لا إشكال إطلاقاً في البراهين المنطقية.. ليكتبوا الكتب ويسوقوا البراهين، وقد كتب علماءنا ولا يزالون لحد اليوم. لدينا في الفروع وفي الأصول وفي كثير من المسائل آراءنا الشيعية المستقلة، ليرهنوا عليها ويبيئوها، وليرفضوا ما سواها بالبراهين المنطقية أيضاً، لا مانع في هذا إطلاقاً. بيد أن هذا غير الإهانة والإساءة وخلق العداوات.. يجب التنبه لهذه النقطة.

اللهم، بمحمد وآل محمد أيقظ قلوبنا، ولا تقصر أيدينا عن الاعتصام بأمر المؤمنين عليّ. تفضل علينا وعلى الأمة الإسلامية بصبره، وجهاده، وإخلاصه. ربنا أحيانا بولاية أمير المؤمنين وأمتنا على ولاية أمير المؤمنين.. أرض عنا القلب المقدس لإمامنا صاحب العصر والزمان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.